اولى الابصار وفي بعض المراسيل ان الله يحب البصر الناقد عند ورود الشبهات
ويحب العقل الكامل عند حلول الشهوات فقوله تعالى فاستمعتم بخلاقكم اشار
الى اتباع الشهوات وهو داخل في العصاه وقولهم وخضتم كالذي خاضوا اشار الى
الشبهات وهو داخل المبتدعه واهل الاهواء والخصومات وكثيرا ما يجتمعان
فعقل من يحكم فاسد الاعتقاد الاوفساد اعتقاده يظهر في عمله والمقصود
ان الله سبحانه اخبران في هذه الامه من يسمع بحلاقه كما استمتع الذين من
قبله بخلاقهم ويخوض بخوضهم وانهم لهم من الذم والوعيد كما للذين من قبلهم
ثم حضهم على القياس والاعتبار بمن قبلهم فقال الم يأتهم نبوا الذين من قبلهم
قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابرهيم واصحاب مدين والمؤتفكات اتتهم رسلهم
بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون فتامل صحه هذا
القياس وافادته لما علق عليه من الحكم وان الاصل والفرع قد تساويا في المعنى
الذي علق به العقاب والكل كما تقدم يضرب من الاولى وهو شدة القوى وكثرة
الاموال والاولاد فاذا لم يتعذر على الله عقاب الاقوى منهم بذنبه فكيف يتعذر
عليه عقاب من هو دونه ومنه قوله تعالى وربك الغفور ذو الرحمه ان يشا
يذهبكم ويستخلف من بعدكم ما يشا كما انشاكم من ذريه قوم اخرين فهذا
قياس جلي يقول سبحانه ان شئت اذهبتكم واستخلفت غيركم كما اذهبت
من قبلكم واستخلفتكم فذكر اردان القياس الاربعه عليه الحكم وهو عموم مشيته
وكمالها والحكم هو اذهابه لهم واتيانه بغيرهم والاصل وهو من قبل والفرع
وهم المخاطبون ومنه قوله تعالى بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تاويله
لذلك كذب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبه الظالمين فاخبر ان من
قبل المكذبين اصل يعتبر به الفرع نفوسهم فاذا ساووهم في المعنى ساووهم
في العاقبه ومنه قوله تعالى انا ارسلنا اليكم رسولا شاهدا عليكم كما ارسلنا
الى فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول فاخذناه اخذا وبيلا فاخبر سبحانه

انه ارسل محمدا صلى الله عليه وسلم الينا كما ارسل موسى الى فرعون وان فرعون
عصى رسوله فاخذه اخذا وبيلا فهكذا من عصى منكم محمدا صلى الله عليه وسلم
وهذا في القرآن كثير جدا فقد فتح لك بابه فصل واما قياس الاولى
فهو الجمع بين الاصل والفرع بدليل العلة وملزومها فمنه قوله تعالى ومن اياته
انك ترى الارض خاشعه فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت ان الذي احياها
لمحي الموتى انه على كل شي قدير فدل سبحانه بما اراهم من الاحيا الذي يحققون وشاهدوه
على الاحيا الذي استبعدوه وذلك قياس احياء على احياء واعتبار الشي بنظيره
والعلة الموجبه هي عمومه قدرته سبحانه وكمال حكمته واحيا الارض دليل
العلة ومنه قوله تعالى يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحي الارض
بعد موتها وكذلك تخرجون فدل بالنظير على النظير وقرب احدهما من
الاخر جدا بلفظ الاخراج اي يخرجون من الارض احيا كما يخرج الحي من
الميت ويخرج الميت من الحي ومنه قوله تعالى لحسب الانسان ان يترك
سدى الم يك نطفة من مني يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى فجعل منه الزوجين
الذكر والانثى اليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى فبين سبحانه كيفيه
الخلق واختلاف احوال المادة في الرحم الى ان صار منه الزوجان الذكر
والانثى وذلك المادة وجود صانع قادر على ما شاء ربه سبحانه عباد
بما احدثه في النطفه المهينه الحقيره من الاطوار وسوقها في مراتب الكمال
من مرتبه الى مرتبه اعلى منها حتى صارت بشرا سويا في احسن خلقه وتقويم
على انه لاحسن به ان يترك هذا البشر سدى مهملا معطلا لا يامر ولا ينهاه
ولا يقيمه في عبوديته وقد ساقه في مراتب الكمال من حين كان نطفه الى
ان صار بشرا سويا فلا يليق به ان يسوقه في مراتب كماله طبقا بعد طبق وحالا
بعد حال الى ان يصير حاره في دار يتمتع بانواع النعيم وينظر الى وجهه
ويسمع كلامه ومنه قوله سبحانه وهو الذي يرسل الرياح نشرا بين يدي